القرائن الدلالية اللفظية والمعنوية في فهم النص القرآني في التحرير والتنوير لابن عاشور

Verbal and Contextual Semantic Clues in Understanding the Quranic Text According to Ibn Ashour

كاظم حسين علي ثاني
Kazem Hussein Ali Thani
باحث – قسم اللغة العربية – كلية الآداب
الجامعة المستنصرية

أ.م.د. وسام مجيد جابر البكري
Assist Prof Dr. Wisam M. J. Albakry
قسم اللغة العربية – كلية الآداب
الجامعة المستنصرية

الخلاصة باللغة العربية:

إنَّ دراسة (القرائن الدلالية اللفظية والمعنوية في فهم النص القرآني عند ابن عاشور)، مبنية على أساس الإحاطة بالآراء الدلالية والقرائن عند ابن عاشور.

البحث في مطلبين، أحدهما (القرائن الدلالية اللفظية) متحدّثًا فيه عن أهمية القرائن اللفظية ووظيفتها ونماذج تطبيقية عند ابن عاشور، و أمَّا ثانيهما فهو (القرائن الدلالية المعنوية)، إذ تحدثت فيه عن الدلالات السياقية، والقرائن التي تؤدِّي معاني قرآنية.

الكلمات المفتاحية: دلالة، قرائن، علم الدلالة، تفسير، النص، المعنى.

Abstract

The study of (Verbal and Contextual Semantic Clues in Understanding the Quranic Text According to Ibn Ashour) is based on encompassing Ibn Ashour's semantic views and clues.

The research is divided into two sections. The first is (Verbal Semantic Clues), discussing the importance and function of verbal clues, along with applied examples from Ibn Ashour. The second section is (Contextual Semantic Clues), where I discuss contextual semantics and the clues that convey Quranic meanings.

Keywords: Meaning, Semantics, Interpretation, Indicators, Text, Quran

توطئة

الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعالَمِيْنَ والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلى خاتمِ وأشْرَفِ الْأَنْبِياءِ، وَسيّدِ الْمُرْسَلِينَ أَبِي الْقاسِمِ مُحَمَّدٍ حبيبُ إلهِ العالمينَ، وَعَلى آلِهِ الْطَّيّبِينَ الطَّاهِرِين، وأصحابِهم المنتجبينَ، والتَّابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ. أمَّا بعدُ...

فابن عاشور هو (محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي)، الشهير بالطاهر بن عاشور، ولد بتونس في ١٢٩٦هـ = ١٨٧٩م. في أسرة علمية عريقة تمتد أصولها إلى بلاد الأندلس. عالم وفقيه تونسي، أسرته منحدرة من الأندلس ترجع أصولها إلى أشراف الأدارسة تعلم بجامع الزيتونة ثم أصبح من كبار أساتذته.(١).

---

(١) يُنظر: إنباه الرواة – جمال الدين القفطي: ٣/ ٢٤٢.

- **القرينة لغة**

القرينـة تعنـي جَمْـع شـيءٍ مـع شـيء، فـ: قرينـة الرجـل امرأتـه، وعقـد القـرآن هـو عقـد زواج بـين شـيئيين مجمـوعين[٢]. وتـأتي بمعنـى مفعولـة مـن الاقتـران، ومـن هنـا فقـد اقتـرن الأمـران وتقارنـا، وجـاؤوا قُرانـى، بمعنـى: مُقترنين. وقارن الأمرُ الأمرَ مُقارنة، أي: رافقه، وبمعنى صاحبه، وصلته[٣].

- **القرينة اصطلاحًا**

عرّفها حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ) بأنها ((ما يزيل الغموض أو الإشكال الواقع في الشيء، ويكون بأن يتبع الشيء بما يكون شرحا له وتفسيرا من جهة ما يكون في معناه أو تكون دلالته في معنى دلالته أو من جهة ما يناسبه ويشابهه، ويكون بأشياء خارجة عن معنى الشيء إلا أن فيها دلالات على إبانة ما أنبهم في الأشياء المقترنة بها))[٤].

عرّفها الجرجاني (ت٨١٦ هـ) بقوله: "هي أمرٌ يشيرُ إلى المطلوبِ"[٥]. وبعضهم يرى أنَّ القرينة: كل أمارة ظاهرة تقارن شيئًا خفيًا فتدل عليه[٦].

إنَّ القرينة دليل من الأدلة فيها ما يتحقق في كل دليل من حيث إنّه يلزم من العلم بشيء آخر، أو يتوصل بصحيح النظر فيها إلى مطلوب. وهذا ما عبّر عنه التهانوي بقوله: " القرائن أصدق الأدلة"[٧].

المطلب الأول: القرائن اللفظية:

القرائن اللفظية هي: ((عنصرٌ من عناصِر الكلام يُستدَلُّ به على الوظائف النَّحويَّة، فيمكن بالاسترشاد

---

(٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس، مادة (قرن): ٥/٧٧.
(٣) لسان العرب، ابن منظور، مادة (قرن): ١٣/ ٣٣٦.
(٤) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ): ٥٦.
(٥) التعريفات، الجرجاني: ١٧٤.
(٦) المدخل الفقهي العام، مصطفى الزرقا: ٢/ ٩١٤.
(٧) كشاف اصطلاحات الفنون، التهاوني: ١/ ٣٩٠.

بها أن نقول: هذا اللفظُ فاعلٌ، وذلك مفعول به أو غير ذلك))[٨].

ومن أهم القرائن اللفظية:

١- القرينة المعجمية ووظيفتها:

هي دلالة اللفظة المفردة على معنى معين، أو هي الدلالة الأصلية لأي لفظ في أصل الوضع اللغوي، ولهذهِ الدَّلالةِ تسمياتٌ متعدِّدة، بحسبِ الدَّارسِ لها، فعلماء اللُّغة يسمُّونها الدَّلالة اللُّغويَّة؛ لأنَّها تكشفُ عن معاني المفردات[٩].

وقد أطلقَ الباحثونَ عليها تَسمياتٌ أخرى[١٠]. منها: الدَّلالة الاجتماعيَّة، والدَّلالة الأصليَّة، والمعنى الصُّوريّ[١١].

وهي القرينة التي اعتمدها ابن عاشور لتحديد دلالة المعنى المعجمي لمفردة يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، التي وردت في قوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ سورة الْأَنْبِيَاء؛ الآية: ٩٦.

إذ يرى ابن عاشور: قد يكون المرادَ بـ ﴿ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ اسْمُ اسْتُعْمِلَ لِلْكَثْرَةِ؛، بسبب قَرِينَةُ الرُّجُوعِ، ويَكُونُ ضَمِير " وَهُمْ " مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ عَائِدِ إِلَى الناسِ وهو مَفْهُومٌ مِنَ الْمَقَامِ دَلَّتْ عَلَيْهِ قَرِينَةُ الرُّجُوعِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وحرام على قرية اهلكناها انهم لَا يَرْجِعُونَ ﴾ سورة الْأَنْبِيَاء؛ الآية: ٩٥. أَيْ أَهْلُ كُلِّ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا.

ويرى فخر الدين الرازي علامة التأنيث في " فُتِحَتْ " تعود يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وهما مؤنثان بمنزلة قبيلتين، وقيل على جهة يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ[١٢].

التَّرجِيحُ: يرجح الباحث أن المراد بـ ﴿ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ هُمْ قَبِيلَتَانِ مِنْ أُمَّةٍ وَاحِدَةٍ؛ لوجود قرينة لفظية "

---

(٨) البيان في روائع القرآن، د.تمام حسان: ١/ ١٠.
(٩) يُنظر: علم الدَّلالة – أحمد مختار: ١٤.
(١٠) يُنظر: مصطلحات الدَّلالة العربيَّة- جاسم محمد عبود: ١٤-١١٥.
(١١) يُنظر: الأصول دراسة ابستيمولوجيَّة للفكر اللُّغويّ عند العرب – تمَّام حسَّان: ٣٤٥.
(١٢) يُنظر: مفاتح الغيب، فخر الرازي: ٢٢/ ١٨٥.

مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ"، فلوكان يعود الضمير " هم" على الناس في القبور، فلا ينطبق عليها المكان المرتفع.

٢- قرينة الأداة ووظيفتها:

هي قرينة لفظية مستعملة في التعليق، وتعد من القرائن الهامة في الاستعمال العربي؛ لأنَّها قرينة متعددة جوانب الدلالة حيث تدل بمعناها الوظيفي وبموقعها وبتضامّها مع الكلمات الأخرى(١٣).

ومن شواهد قرينة الأداة: " أيان" في قولهِ تعالى: ﴿ يَسْأَلُ أَيّانَ يَوْمُ القِيامَةِ ﴾ سورة القيامة؛ الآية: ٦. وأصل قرينة الأداة " أيان": هو إنها أَدَاةٌ موضوعةٌ للاستفهامِ الحقيقي، ويطلبُ بها تعيينُ الزمان خاصة. وتكون في موضع التهويل والتفخيم دون غيره، أمَّا (متى): فموضوعة للاستفهام، ويطلب بها تعيينُ الزمان، سواء أكان ماضيًا أو مستقبلًا(١٤).

وذكرَ النحاس (ت ٣٣٨ هـ) في إعراب القرآن: التقدير: أي وقت يوم القيامة، وفتحت النون من (أيان) لالتقاء الساكنين وفيها زيادة والاصل (أي) أو (أن) يوم القيامة، رفع بالاستفهام(١٥).

وقد أشارَ ابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) إلى وجود اختلاف دلالي بينهما إذ يقول: تختص (أيان) في الاستفهام بالمستقبل، بخلاف (متى)، فانه يستعمل في الماضي والمستقبل(١٦).

لكن يرى ابن عاشور: إنَّ الاستفهام في الأداة " أيّانَ" هو سؤال استهزاء؛ لوجود قرينة حالية، وهي اعتقادهم باستحالة وقوعه، وأيان اسم استفهام عن الزمان البعيد لأن أصلها: أن آن كذا، ولذلك جاء في بعض لغات العرب مضموم النون وإنما فتحوا النون في اللغة الفصحى لأنهم جعلوا الكلمة كلها ظرفا فصارت أيان بمعنى "متى"(١٧)

وإنَّ المعنى الدلالي المُفاد من القرينة الحالية، أو اللفظية هي التي جعلتنا نحمل المعنى الَّذِي توجبه

---

(١٣) اللغة العربية معناها، ومبناها، د. تمام حسان: ٢٢٤- ٢٢٥.

(١٤) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع- أحمد الهاشمي: ٩٢.

(١٥) إعراب القران للنحاس: ٥/ ٨٠.

(١٦) يُنظر: المفصّل- ابن يعيش: ٤ / ١٠٦.

(١٧) يُنظر: التحرير والتنوير ابن عاشور: ١٧/ ١٤٩؛ ويُنظر: كتاب سيبويه: ٢ / ٣١٢؛ ويُنظر: المقتضب: ١/ ١٩٠، واللمحة في شرح الملحة: ٢/ ٩٠٦.

صيغة اللَّفْظ إلى خارج معناه؛ لأَن الِاسْتِفْهَام لَا يكون إِلَّا لما يجهله المستفهم، أَو يشك فِيهِ؛ وقد يكون المستفِهم غير جاهل ويفهم؛ لهذا قد يجوز أَن يسْأَل فِيهِ السَّائِل عَمَّا يعلم وَعَما لَا يعلم(١٨).

وكذلك حمّل الزمخشري دلالة أداة الاستفهام " أيان" الواردة في الآية الكريمة على غير جِهَة اعْتِبَار أصل اللَّفْظ فِي اللُّغَة إذ يقول هي: سُؤالُ اسْتِهْزاءٍ وتَكْذِيبٍ وتَعَنُّتٍ مستبعد لقيام الساعة، أيْ: مَتى يَوْمُ القِيامَةِ ؟(١٩).

وأشارَ د. فاضل السامرائي إلى أداة الاستفهام" إيان" في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُ أَيّانَ يَوْمُ القِيامَةِ﴾، إذ يقول: وهذا سؤال مُتعنِّتٍ مُسْتبعدٍ لقيام الساعة وقد جاء بأداة الاستفهام (أيّان) التي تدل على شدة الاستبعاد. وهذا المتعنّت المستبعد لقيام الساعة هو الذي يقدم الفجور والمعصية ويؤخر التوبة، وهو المذكور في الآية السابقة(٢٠).

٣- مفهوم قرينة الربط ووظيفتها:

هي حروف تستعمل لربط الكلمات أو الجمل أو الأفكار ببعضها البعض؛ وتسهم في تماسك النص وتسهيل فهمه من خلال توضيح العلاقات بين أجزائه. وهي قرينة لفظية تظهر في النص بشكل واضح، ومن شواهد دلالة قرينة الربط: (أو) في قوله الله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ سورة الصافات؛ الآية: ١٤٧.

- فحرف " أو" في قوله: أو يزيدون بمعنى " بل" على قول الكوفيين واختيار الفراء وأبي علي الفارسي وابن جني وابن برهان، واستشهدوا بقول جرير:

ماذا ترى في عيال قد برمت بهم ... لم أحص عدتهم إلا بعداد

ويرجح ابن عاشور هذا الرأي لوجود قرينة لغوية بأن هذا الاستعمال معروف عند العرب، وأستبعد أن تكون " أو " للشك؛ لأن الله لا يشك، والقرآن من عند الله فلا يصح حملها على ذلك(٢١).

---

(١٨) يُنظر الفروق اللغوية للعسكري: ١/ ٢٧.

(١٩) تفسير الكشاف، للزمخشري: ٦/ ٢٦٨، وينظر البحر المحيط في التفسير: ١٠/ ٣٤٥.

(٢٠) لمسات بيانية للدكتور فاضل السامرائي: ٢٠٨.

(٢١) يُنظر: التحرير والتنوير ابن عاشور: ٢٣/ ١٧٩؛ ومفاتح الغيب، فخر الرازي: ٢٢/ ١٨٥.

- والبصريون لا يجيزون ذلك إلا بشرطين أن يتقدمها نفي أو نهي وأن يعاد العامل، وتأولوا هذه الآية بأن أو للتخيير، والمعنى إذا رآهم الرائي تخير بين أن يقول: هم مائة ألف، أو يقول: يزيدون(٢٢).
- والمبرد يرى إنَّ " أو " لا تصح بمعنى " بل" لوجود قرينة من وَجْهَيْن إذ يقول:

أَحدهمَا: أَن " أَو" لَو وَقعت في هَذَا الْموضع موقع " بل" لجَاز أَن تقع في غير هَذَا الْموضع، وَكنت تَقول: ضربت زيدا أَو عمرا، وَمَا ضربت زيدا أَو عمرا على غير الشَّك، وَلَكِن على معنى " بل" فَهَذَا مَرْدُود عِنْد جَمِيعهم عندنا.

وَالْوَجْه الآخر: أَن " بل" لَا تأتى فِي الْوَاجِب فِي كَلَام وَاحِد إِلَّا للإضراب بعد غلط أَو نِسْيَان، وَهَذَا منفى عَن الله عز وَجل؛ لِأَنَّهُ الْقَائِل إِذا قَالَ: مَرَرْت بزيد غالطا فاستدرك، أَو نَاسِيا فَذكر، قَالَ: بل عَمْرو؛ ليضْرب عَن ذَلِك، وَيثبت ذَا وَتقول: عندي عشرَة بل خَمْسَة عشر على مثل هَذَا، فَإِن أَتَى بعد كَلَام قد سبق من غَيره فالخطأ إِنَّمَا لحق كَلَام الأول...))(٢٣). والباحث يميل إلى رأي المبرد كونه منطقاً سليماً ومقنعاً.

٤- مفهوم قرينة الرتبة ووظيفتها:

قرينة الرتبة: قرينة لفظية وعلاقة بين جزأين مرتبين من أجزاء السياق يدل موقع كلٌّ منهما من الآخر على معناه(٢٤).

وقرينة الرتبة بكونها قرينة لفظية تخضع لمطالب أمن اللبس، وقد يؤدي ذلك إلى عكس الرتبة إلى أن تنعكس الرتبة بين الجزأين المرتبين بها(٢٥).

والذي يبدو، أن قرينة الرتبة فرع على قرينة التضام بمعناه العام وإذ لا رتبة لغير متضامين(٢٦).

---

(٢٢) يُنظر: التحرير والتنوير ابن عاشور: ٢٣/ ١٧٩-١٨٠.

(٢٣) يُنظر: الجمل في النحو- الخليل: ٣١٠؛، معاني القرآن – للفراء (ت ٢٠٧هـ): ٢/ ٣٩٣؛ والمقتضب، للمبرد: ٣/ ٣٠٤ – ٣٠٥؛ وشرح قطر الندى – ابن هشام: ٣٠٢. ويُنظر: اللمحة في شرح الملحة- ابن الصايغ: ٥٩٣-٥٦٩.

(٢٤) اللغة العربية معناها، ومبناها، د. تمام حسان: ٢٠٩.

(٢٥) اللغة العربية معناها، ومبناها، د. تمام حسان: ٢٠٩.

(٢٦) اللغة العربية معناها، ومبناها، د. تمام حسان: ٢١٠.

هي وصف موقع الكلمة في التركيب أو هي ترتيب أجزاء الكلام بحسب أهميتها أو ملاءمتها للمقام، بحيث يُقدَّم ما هو أولى بالتقديم، ويُؤخر ما هو أولى بالتأخير، وفقًا لمقتضى الحال[٢٧].

ولقد أولى أهل الدلالة عناية خاصة بقرينة الرتبة، ومن ذلك قول الجرجاني (ت ٤٠٧هـ): ((هو بابٌ كثيرُ الفوائد، جَمُّ المَحاسن، واسعُ التصرُّف، بعيدُ الغاية، لا يَزالُ يَفْتَرُّ لك عن بديعةٍ، ويُفْضي بكَ إلى لَطيفة، ولا تَزال تَرى شِعراً يروقُك مسْمَعُه، ويَلْطُف لديك موقعُه، ثم تنظرُ فتجدُ سببَ أَنْ راقكَ ولطفَ عندك، أن قُدِّم فيه شيءٌ، وحُوِّل اللفظُ عن مكانٍ إلى مكان))[٢٨].

ومن شواهد الرتبة ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هارُونَ وَمُوسى﴾ سورة طه؛ الآية: ٧٠.

- الشاهد فيها: قدم هارون على موسى عليهما السلام مع أن الآيات الأخرى قدمت موسى على هارون عليهما السلام.

جاء هذا التقديم والتأخير على لسان السحرة بعد إيمانهم، بعدما رأوا المعجزة التي ألقاها موسى عليه السلام. وفي هذه الآية جاء الاسم " هارون" مقدمًا على " موسى"، مع أن الأصل – والأكثر في القرآن– تقديم موسى على هارون كما في قوله تعالى ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ في سورة الأعراف؛ الآية ١٢٢[٢٩].

ويرى ابن عاشور أن دلالة قرينة الرتبة التي حصل فيها التقديم والتأخير، فيها عدد من الوجوه:

- التقديم ليس مقصوداً على وجه التفضيل أو الأسبقية، ولا دلالة فيه على ذلك ولا غيره؛ لأن قرينة الواو العاطفة تفيد مطلق الجمع في حكم المعطوف فيه؛ ولا تفيد ترتيبا ولا تفضيلا[٣٠].
- تقديم هارون هنا لرعاية الفاصلة، أو التقديم وقع في الحكاية لا في المحكي[٣١].
- يجوز أن يكون تقديم هارون في هذه الآية من حكاية قول السحرة، فيكون صدر منهم قولان، قدموا في

---

(٢٧) مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور: ٢٨٨.
(٢٨) دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني: ١/ ١٠٦.
(٢٩) يُنظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١٦/ ٢٦٢.
(٣٠) يُنظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١٦/ ٢٦٢.
(٣١) يُنظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١٦/ ٢٦٣.

أحدهما اسم هارون اعتبارا بكبر سنه، وقدموا اسم موسى في القول الآخر اعتبارا بفضله على هارون بالرسالة وكلام الله تعالى، فاختلاف العبارتين باختلاف الاعتبارين[٣٢].

٥- مفهوم قرينة الإعراب ووظيفتها:

هي إحدى القرائن التي يعتمد عليها ابن عاشور في تفسيره لاستنباط المعاني الدقيقة للنصوص، وتدور قرينة الإعراب في اللغة حول معاني الإبانة والإفصاح والإظهار والإيضاح. وقرينة الإعراب هي ((قرينة لفظيّة لها أهمّية كبرى في الجملة العربية))[٣٣].

ومن شواهد القرينة الإعرابية في قولة تعالى: ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ، ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ سُورَة الشُّعَرَاء؛ آيَة: ٢٠٨- ٢٠٩.

والشاهد فيها: " ذِكْرى " إذ يجوزُ فيها أوجهٌ وهي:

١. يرى ابن عاشور: أنَّها في محلِّ رفع خبر لمبتدأ محذوفٍ أي: هذه ذكرى. وتكونُ الجملةُ اعتراضيةً، ودلت عليه قرينة السياق، والمعنى هذه ذكرى لكم يا معشر قريش[٣٤]. ويجوز أن تكون " ذكرى" مرفوعة على الابتداء، والخبر محذوف، أي ذكرى لهم[٣٥].

٢. إنها مفعولٌ مِنْ أجله. وإذا كانَتْ مفعولاً لأجلهِ فيكون التقدير: ... إلا لها منذرون لأجل الذكرى؛ فلا يُهلكون إلا بعد تذكير وإنذار[٣٦].

٣. إنها صفةٌ لـ (مُنْذِرُوْن): إمَّا على المبالغةِ، وإمَّا على الحذفِ أي: مُنْذرُوْن ذَوو ذكرى، أو على وقوعِ المصدرِ وقوعَ اسمِ الفاعلِ أي: مُنْذِرون مُذكِّرون[٣٧].

٤. إنها في محلِّ نصبٍ على الحال أي: مُذَكِّرين، أو ذوي ذكرى، أو جُعِلوا نفسَ الذكرى مبالغةً.

---

(٣٢) يُنظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١٦/ ٢٦٣.
(٣٣) القرينة في اللغة العربية، د. كوليزار كاكل عزيز: ٩٢.
(٣٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١٩/ ١٩٨.
(٣٥) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، سمين الحلبي: ٨/ ٥٦١.
(٣٦) يُنظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٨/ ٥٦١.
(٣٧) يُنظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٨/ ٥٦١.

٥. إنها منصوبةٌ على المصدرِ المؤكِّد، والمصدر منصوب بفعل محذوف تقديره: نذكرهم ذكرى، وما كنا ظالمين[٣٨]. وهذا التقدير يجعل " ذكرى" مرتبطة بالفعل المفهوم ضمنيًا من السياق، وتكون جملة مستقلة.

ونميل إلى الرأي الثاني؛ لوجود قرينة عقلية منفصلة تعلل إرسال المنذرين، وهي أن الله أرسل المنذرين لأجل التذكرة، فحين يهلك القرية بعد ذلك، لا يكون ظلمًا؛ لأنّهم أنذروا.

قرينة التضام:

هي قرينة لفظية قائمة على أن يستلزم أحد العنصرين التحليليين النحويين عنصرًا آخر فيسمى التضام هنا " التلازم"، أو يتنافى معه فلا يلتقي به ويسمى هذا " التنافي"[٣٩].

والتضام في القرآن الكريم هو ظاهرة لغوية ترتبط ببنية النص وترابطه، حيث يظهر تماسك النص وقوته من خلال الترابط بين الكلمات والجمل. ويقول علماء اللغة أن التضام يظهر في عدة جوانب مثل الإحالة، والحذف، والربط، وغيرها، ويهدف إلى جعل النص أكثر تماسكًا وانسجامًا. بعض الدراسات اللغوية تؤكد أن التضام هو أحد أهم آليات تحقيق تماسك النص في القرآن الكريم.

ومن شواهد قرينة التضام بالترادف: قوله تعالى: ﴿... فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ الإسراء؛ الآية: ٢٣. فكلمة "أُفٍّ" و"تَنْهَرْهُمَا" مترادفتان، مما يعزز المعنى ويوضح أهمية الإحسان إلى الوالدين[٤٠].

المطلب الثاني القرائن المعنوية:

هي العلاقات السياقية التي تربط بين تراكيب النحوية، وتتضح بها المعاني[٤١]. أو هي ظواهر غير لفظية في التركيب، تفهم معنويا من المقال، وتعين على تحديد الوظيفة النحوية العامة[٤٢]؛ وإن الغاية التي يسعى

---

(٣٨) يُنظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٨/ ٥٦١.

(٣٩) يُنظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان: ٢١٧-٢٢٢.

(٤٠) يُنظر: التحرير والتنوير، أبن عاشور: ٢٦/ ٢١٨.

(٤١) اللغة العربية مهناها ومبناها، تمام حسان: ١٨٩.

(٤٢) أمن اللبس في النحو العربي، نقلا عن القرائن المعنوية: ٤٥.

إليها الناظر في النصّ هي فهم النص، والعلاقات السياقية قرائن معنوية تفيد في تحديد المعنى(٤٣).

والقرائن المعنوية تتمثل في مجموعة العلاقات التي تربط بين المعاني الخاصة؛ كقرينة الإسناد، والتخصيص، والنسبة والتبعية، وقد تتضافر القرائن المعنوية والقرائن اللفظية في بيان دلالات التراكيب، والقرائن المعنوية قد لا تتسم بالوضوح في بعض الحالات، فلو توقف المعنى عليها لتطرق اللبس إلى الفهم، ولذلك عمد إلى تظافر القرائن في الاستعمال اللغوي والاستعانة بظواهر القرائن اللفظية التي تعين على كشف المعنى، جنبا إلى جنب مع القرائن المعنوية(٤٤).

واهتم ابن عاشور ببيان القرائن الدلالية للنصوص القرآنية أينما اقتضت الحاجة إلى ذلك، ومن أبرز نماذج القرائن المعنوية عنده نذكر الآتي:

قرينة المخالفة

هي القرينة التي تدل على أن المقصود من اللفظ هو المعنى المخالف له وضعًا، وهي من بين القرائن المعنوية(٤٥). وقد عرفها ابن الحاجب: أن يكون المسكوت عنه مخالفًا للمذكور في الحكم(٤٦). وعرفها الآمدي بأنه: ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت مخالفًا لمدلوله في محل النطق(٤٧).

فقرينة المخالفة في القرآن الكريم هي استنباط معنى من النص القرآني بناءً على دلالة المفهوم المخالف، أي استنتاج حكم من خلال نفي ما يقابله. بمعنى آخر، نفهم معنى الآية من خلال ما لم يذكر فيها.

ومثال قرينة المخالفة: قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ سورة الحجرات؛ الآية: ٦.

فإذا جاء عادل، أي لم يأتكم فاسق، فلا يجب التبين من خبره، والجملة " إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا" هي لغرض التنبيه على طريقة سلوك المؤمنين في معاملة من يعرف بالخروج عن طريقتهم وهي طريقة الاحتراز

---

(٤٣) يُنظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان: ١٩١.
(٤٤) القرائن النحوية، وإطراح العامل والاعرابين المحلي والتقديري، مجلة اللسان العربي، الرباط ١٩٧٤م: المجلد ١، ٦١/١.
(٤٥) يُنظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان: ٢٠١.
(٤٦) مختصر ابن الحاجب مع شرح العضد: ٢٥٦.
(٤٧) الإحكام للآمدي: ٣/ ٦٩.

منه لأن عمله إفساد في جماعتهم(٤٨).

قرينة التخصيص

يرى الدكتور تمام حسان إنَّ التخصيص علاقة سياقية كبرى، وإن شئت فقل: قرينة معنوية كبرى تتفرع منها قرائن أخص منها(٤٩).

فقرينة التخصيص: هي القرينة التي تقيد معنى عاما أو شاملا إلى معنى أكثر تحديدًا أو خاصًا، ويخصَّص العامُّ بقرائن متنوعة، وإن جزءًا كبيرًا منها يتعلق بسياق الكلام، وتسمى القرائنُ التي تتعلق بسياقِ الكلام بالقرائن غير اللفظية؛ كالحسّ والعقل وغير ذلك، فمن شواهد: قرينة التخصيص: قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ، إِلا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴾ سورة المدثر؛ الآيتان: ٣٨-٣٩.

ويرى ابن عاشور: إنَّ الرَّهنُ: هو الوثاق والحبس، ومنه الرهن في الدَّيْنِ؛ لجعل وثيقة للتأمين على دين، فيتم حَبْسُ الشيء بحقٍّ ليُستوفى منه عند تعذُّر وفائِه، والعموم المفاد مِن الآية هو قوله " كُلُّ نَفْسٍ... " فالمعنى: كل نفوس الناس مرهونة، إلا أَصْحَابَ الْيَمِينِ فإن كلمة "إلا" هي قرينة معنوية تفيد التخصيص، فهي

تحدد أن ليس كل نفوس الناس مرهونة، بل هناك استثناء واحد هو نفوس أَصْحَابَ الْيَمِينِ، وبهذا يكون قوله: كل نفس مرادا به خصوص أنفس المنذرين من البشر، فهو من العام المراد به الخصوص بالقرينة، أي قرينة ما تعطيه مادة رهينة من معنى الحبس والأسر. والباء للمصاحبة لا للسببية(٥٠).

وقرينة التخصيص عند ابن عاشور في "التحرير والتنوير" تُعد من أهم أدواته في الكشف عن المعنى القرآني الدقيق، وهي تدخل ضمن منهجه اللُغوي في التفسير، وابن عاشور يعتمد على السياق والقرائن المتصلة والمنفصلة لتخصيص العموميات، وتضييق دلالة الألفاظ الواسعة، حتى لا يُفهم النص فهما سطحيا أو مجتزأ.

القرينة الحالية

---

(٤٨) يُنظر: التحرير والتنوير، أبن عاشور: ٢٦/ ٢١٨.
(٤٩) اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان: ١٩٤.
(٥٠) يُنظر: التحرير والتنوير ابن عاشور: ٢/ ٤٢٩.

هي القرائن المستمدة من السياق الحالي أو الظروف المحيطة بالكلام، ويقصد بالقرينة الحالية هي الحالة التي يكون عليها المتكلم أو المتلقي، في وقت إلقاء الخطاب، والقرائن الحالية تعتمد على ما يحدث في اللحظة الحالية والسياق المحيط؛ لذلك عرفها السبكي بأنها: ((هيأة صادرة من المتكلم عند كلامه))[٥١]، وقد عرفها أبو الحسين البصري بأنها: ((الأحوال التي تعدُل بالخطاب من معنى إلى معنى مع كونه متردداً بينهما))[٥٢].

القرينة في قولة تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا، ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيها جِثِيًّا ﴾ سُورَة مَرْيَم: الْآيَات ٧١ إِلَى ٧٢.

القرائن في جملة " وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وارِدُها... " إذ تشير الآية إلى ورود جميع الناس النار، وهو أمر محتوم قضاه الله تعالى. ولفهم دلالة مفردة " وارِدُها في الآية، نذكر ملخص ما ذكره ابن عاشور:

١- قسَّمَ استعمالات الورود في الوصول أو الدخول إلى ثلاثة استعمالات:

أ- إنها حقيقة في الوصول فقط.

ب- إنها مجاز شائع في الأعم من الوصول والدخول اي تطلق ويراد بها ما هو الأعم من الدخول والوصول.

ت- انها مجاز غير شائع في الدخول فقط.

٢- في الآية محل البحث اختار ابن عاشور ان معنى الورود في الآية هو المعنى الثالث، أي: " الدخول" بقرينة منفصلة؛ لأن دخول جهنم لا يلائم المتقين، ولا يناسبهم وصولهم ووقوفهم على حافة جهنم وقرينة هذا الاستبعاد هو إنه امر عبثي لا فائدة فيه[٥٣].

فالقرينة: "وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا" هي قرينة لفظية تشير إلى أن المقصود بالورود هو المرور على النار، وليس الدخول فيها إقامة أو تعذيبًا بالضرورة، ومعنى: "الورود" هنا لا يعني المكث أو العذاب داخل النار للجميع، بل المرور عليها. ويفهم ذلك من قرينة سياق الآية، إذ يتضح أن الورود هو المرور الذي يشمل

---

(٥١) الابهاج في شرح المنهاج: ٣٤٢/١.

(٥٢) المعتمد في أصول الفقه: ٣٤٦/٢.

(٥٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١٦/ ١٥٠.

جميع الناس " المؤمنين والكافرين"، لكن الله ينجي المتقين كما ورد في قوله تعالى: " ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا" سورة مريم؛ الآية: ٧٢.

دور القرينة: تمنع من فهم النص على أن الجميع يدخل النار للعذاب، وتوضح المعنى الحقيقي لـ "ورودها" على أنه المرور أو الاقتراب لبعضهم، وبهذا تكون القرينة اللفظية والسياقية هي التي تكشف المعنى البلاغي الدقيق في الآية الكريمة.

القرينة العقلية

لترجيح أحد وجهين في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العلم ﴾ سورة آل عمران؛ الآية:٧.

المسألة الخلافية فيها: هو في الوقف على أحد وجهين:

الوجه الأول: الوقف على قوله: " وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ " وهذا هو الذي عليه الجمهور كما يقول الزركشي(٥٤). وعلى هذا الرأي تكون الواو في قوله تعالى: وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ..... هي استئنافية، ويصبح المعنى أن الله تعالى فقط يعلم تأويله، وعلى هذا الاساس يبقى تأويله في السماء ولا مزية في نزوله.

الوجه الثاني: الوقف على قوله: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ وعلى الوجه الثاني يكون المقصود بالتأويل: التفسير، أي: أن الفقه والتفسير والتحقيق للمعاني هو من شأن الراسخين في العلم، وعلى هذا الرأي تكون الواو عاطفة.

وكان لأثر القرائن في ترجيح الخلاف دورًا؛ فلوجود قرائن عقلية، وهي من القرائن المعنوية، فترجح أن تكون الواو عاطفة ومنها:

١- لَوْ كَانَ الرَّاسِخُونَ مُبْتَدَأً، وَجُمْلَة: «يَقُولُونَ ءامنّا بِهِ» خَبَرًا، لَكَانَ حَاصِلُ هَذَا الْخَبَرِ مِمَّا يَسْتَوِي فِيهِ سَائِرُ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَا زَيْغَ فِي قُلُوبِهِمْ، فَلَا يَكُونُ لِتَخْصِيصِ الرَّاسِخِينَ فَائِدَةٌ.(٥٥).

---

(٥٤) يُنظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ٢/ ٧٤.

(٥٥) يُنظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٣/ ١٦٥

إذاً؛ الله سبحانه وتعالى فقط يعلم تأويل القرآن الكريم فقط، فعلى هذا الاساس يبقى تأويله في السماء ولا مزية في نزوله.

٢- أمَّا إذا كان الراسخون يعلمون تأويله، فتكون لهم ميزة هي التعليم، وإِظْهَارُ فَضْلِ الْعَالِمِ عَلَى الْجَاهِلِ وَيَسْتَدْعِيهِ عِلْمُهُ إِلَى الْمَزِيدِ فِي الطَّلَبِ فِي تَحْصِيلِهِ لِيَحْصُلَ لَهُ دَرَجَةُ الْفَضْلِ وَالْأَنْفُسُ الشَّرِيفَةُ تَتَشَوَّفُ لطلب العلم وتحصيله(٥٦).

الخاتمة نتائج البحث

كرَّسَ ابن عاشور جُلَّ جهدِهِ؛ للكشفِ عن دلالة التَّعبيرِ القرآنيّ، وبيان مدى فهمه وإدراكه له، ويمكننا أن نتوّجَ البحث بأهمِّ النَّتائجِ على النَّحو الآتي:

١- إنَّ دراسة القرائن تسهم في فهم النص القرآني، وتزيل الغموض عنه؛ وأنَّ مفهومَ القرائنِ كان حاضرًا في أذهانِ علمائنا في أيِّ عصرٍ من عصور التأليف، ولكن ابن عاشور اهتم بها كثيراً، مستعيناً بفهمه للقرآن الكريم وثقافته الواسعة في علوم العربية.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١. الإبهاج في شرح المنهاج: تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥ م.
٢. الأصول دراسة ابستيمولوجيَّة للفكر اللُّغويّ عند العرب – تمَّام حسَّان
٣. الإحكام في أصول الأحكام، سيف الدين، أبو الحسن، علي بن محمد الآمدي (ت ٦٣١ هـ)، علّق عليه: عبد الرزاق عفيفي، قام بتصحيحه: عبد الله بن عبد الرحمن بن غديان، علي الحمد الصالحي، الناشر: مؤسسة النور بالرياض، سنة ١٣٨٧ هـ، ثم أعاد طباعتها: المكتب الإسلامي (دمشق – بيروت)، ط٢، سنة ١٤٠٢هـ.
٤. إنباه الرواة على أنباء النحاة: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت٦٤٦هـ)؛ تحقيق: محمد

(٥٦) يُنظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ٢/ ٧٥.

أبو الفضل إبراهيم، ط١، الناشر: دار الفكر العربي، ومؤسسة الكتب الثقافية بيروت ١٩٨٢م.
٥. البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمَّد بن يوسف الأندلسي (ت٧٤٥هـ)؛ تحقيق: عادل أحمد وعلي محمّد، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٣م.
٦. البرهان في علوم القرآن: محمَّد بن عبد الله بدر الدين الزَّركشيّ (ت٧٩٤هـ)؛ تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء التُّراث العربيَّة، القاهرة ١٩٥٧م.
٧. التَّحرير والتَّنوير: محمد الطاهر بن عاشور، ط١، الدار التونسية، تونس ١٩٨٤م.
٨. التعريفات: أبو الحسن علي بن محمد الشَّريف الجرجانيّ، تحقيق: محمَّد صدِّيق المنشاوي، ط١، الناشر: دار الفضيلة، القاهرة ٢٠٠٤م.
٩. الجمل في النحو: الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت١٧٥هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط١، مطبعة أمير– الجمهورية الإيرانية الإسلامية، (د.ت).
١٠. دلائِلُ الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرَّحمن الجرجانيّ، تحقيق: محمود محمَّد شاكر أبو فهر، ط٣، مطبعة المدنيّ، القاهرة، ١٩٩٢م.
١١. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) (د. ط)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق (د.ت)
١٢. شرح قطر الندى وبل الصدى: ابن هشام الانصاريّ (ت٧٦١هـ)؛ ومعه كتاب (سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر الندى): محمّد محيي الدين عبد الحميد، ط٧، منشورات فيروز آبادي– قم، (د.ت).
١٣. القرائن النحوية، وإطراح العامل والاعرابين المحلي والتقديري، مجلة اللسان العربي، الرباط ١٩٧٤م.
١٤. القرينة في اللغة العربية، د. كوليزار كاكل عزيز، دار دجلة بغداد– العراق، ط١، ٢٠٠٩م.
١٥. الكشَّاف عن حقائق التَّأويل وعيون التَّنزيل في وجوه التَّأويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزَّمخشريّ، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخران، ط١، الناشر: مكتبة العُبيكان، الرِّياض ١٩٩٨م.
١٦. كشَّاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمَّد بن علي التَّهانوي (ت١١٥٨هـ)؛ تحقيق: علي دحروج، نقل النَّصَّ إلى العربيَّة: عبد الله الخالديّ، التَّرجمة الأجنبيَّة: جورج زيناتي، ط١، الناشر: مكتبة لبنان، بيروت ١٩٩٦م.
١٧. لمسات بيانيَّة في نصوصٍ من التَّنزيل: فاضل صالح السَّامرَّائيّ، ط٣، الناشر: دار عمَّار، عمَّان، ٢٠٠٣م.
١٨. اللمحة في شرح الملحة: محمد بن حسن بن سِباع بن أبي بكر الجذامي، أبو عبد الله، شمس الدين، المعروف بابن الصائغ (ت٧٢٠هـ)؛ تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، ط١، الناشر: عمادة البحث

العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ٢٠٠٤م.
١٩.مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٤٢٨هج _١٩٩٣م
٢٠.المدخل الفقهي العام، مصطفى الزرقا
٢١.مفاتيح الغيب: فخر الدَّين بن ضياء الدَّين عمر الرَّازي (ت٦٠٦هـ)؛ ط١، الناشر: دار الفكر، بيروت ١٩٨١م.
٢٢.المعتمد في أصول الفقه
٢٣.مقاييس اللُّغة: أبو الحسن أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)؛ تحقيق: عبد السَّلام هارون، ط١، الناشر: دار الفكر، القاهرة، مصر ١٩٧٩م
٢٤.المقتضب: أبو العبَّاس محمَّد بن يزيد المبرِّد، تحقيق: محمَّد عبد الخالق عضيمة، ط٣، الناشر: وزارة الأوقاف، القاهرة، مصر ١٩٩٤م.
٢٥.المعجم الوسيط، جمهورية مصر العربية مجمع اللغة العربية، مصر: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤ م.